

الأمثل في تفسير كتاب الأمانة المنزل

[532] ملاحظات 1 - هداية الأمانة وحريّة الإرادة إنّ الآيات الآنفة تجسّد بيّن لوجهة نظر الإسلام في مسألة "الجبر والإختيار" والهداية والإضلال، لأنّها توضح هذه اللطيفة - بجلاء - وهي أنّ الأمانة يهيئ المجال "والأرضية" للهداية والرشد، فمن جهة يبعث رسوله ويجعله بين الناس وينزل القرآن الذي هو نور ومنهج هداية؛ ومن جهة يلقي في النفوس العشق للإيمان ومحبّته؛ والتنفّر والبراءة من الكفر والعصيان، لكنّ في النهاية يوكل للإنسان أن يختار ما يشاء ويصمّم بنفسه، ويشعر سبحانه التكليف في هذا المجال!... وطبقاً للآيات المتقدّمة فإنّ عشق الإيمان والتنفّر من الكفر موجودان في قلوب جميع الناس دون استثناء وإذا لم يكن لدى بعضهم ذلك فإنّ ما هو من جهة أخطائهم وسلوكيّاتهم وأعمالهم، فإنّ الأمانة لم يُلَقَ في قلب أيّ شخص "حبّ" العصيان وبغض الإيمان... 2 - القيادة والطاعة هذه الآيات تؤكد مرّةً أُخرى أنّ وجود القائد "الإلهي" ضروري لرشد جماعة ما، بشرط أن يكون مطاعاً لا مطيعاً وأن يتّبع أصحابه وجماعته وأوامره لا أن يؤثّروا عليه ويفرضوا عليه آراءهم (ابتغاء مقاصدهم ومصلحتهم). وهذه المسألة لا تختصّ بالقيادة الإلهية فحسب، بل ينبغي أن تكون حاکمة في المديرية والقيادة في كلّ مكان. وحاكمة هذا الأصل لا تعني استبداد القادة، ولا ترك الشورى كما أشرنا آنفاً وأوضحنا ذلك. 3 - الإيمان نوع من العشق لا إدراك العقل فحسب... هذه الآيات تشير ضمناً إلى هذه الحقيقة وهي أنّ الإيمان نوع من العلاقة الإلهية الشديدة "والمعنوية" وإن كانت من الإستدلالات العقلية... ولذلك فإنّنا نقرأ حديثاً عن الإمام الصادق (عليه السلام) حين سأله: هل الحبّ والبغض من الإيمان، فأجاب (عليه السلام): "وهل الإيمان إلّا الحبّ والبغض؟" ثمّ تلا هذه الآية: (... ولكنّ الأمانة حبّ إليكم الإيمان وزينّه في قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون)(1). وورد في حديث آخر عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله في هذا المجال "وهل الدين إلّا الحبّ؟" ثمّ استدلّ (عليه السلام) ببعض الآيات منها هذه الآية محل البحث وقال بعدئذ: "الدين هو الحبّ والحبّ هو الدين"(2). إلّا أنّّه ودون أدنى شكّ يجب أن تُرْفَد هذه المحبّة - كما نوّهنا آنفاً - بالوجوه الإستدلالية والمنطقيّة لتكون مثمرة عندئذ... * *

* _____ 1 - أصول الكافي، ج2، باب الحبّ في الأمانة والبغض في الأمانة، الحديث 5. 2 - تفسير نور الثقلين، ج5، ص83، وص84.